

فقه المودودي حول حالة الأمة الإسلامية الدينية في عصره مطالعة

Syed Maududi's Jurisprudential Study of the Religious Condition of the Muslim Ummah in His Era

Muhammad Saleh

PhD Scholar, Department of Islamic Studies, Lahore Leads University, Lahore.

salehmadni09@gmail.com

Abstract

This study explores the jurisprudential thought of Syed Abul A'la Maududi concerning the religious condition of the Muslim Ummah during his era and highlights its relevance in the contemporary world. Maududi, a reformer, scholar, and founder of Jamaat-e-Islami, devoted his life to reviving Islamic principles in the spheres of faith, politics, economics, and society. The paper analyzes Maududi's critique of Western colonial influence, moral decline, and the disintegration of Islamic values among Muslims in the Indian subcontinent. It examines his call for a comprehensive return to the Qur'an and Sunnah as the foundation for intellectual, political, and social renewal. The study also investigates his emphasis on Islamic economic justice, rejection of usury, and the need for spiritual and moral reconstruction in an era of materialism and secular ideologies. In conclusion, the research underscores Maududi's enduring significance for addressing the contemporary challenges of globalization, moral decay, and intellectual fragmentation through a revival of authentic Islamic thought and governance.

Keywords: *Maududi, Islamic jurisprudence, Muslim Ummah, colonialism, reform, Islamic revival, socio-economic justice, political thought, spirituality, modern challenges*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي انزل على عبده القرآن شفاء ورحمة، وجعله دستوراً لخير أمة والصلاة والسلام على من كشف الله تعالى به ألغمه وأثار به الظلمة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) منقذ ألامه وبعد : لقد كثرت الفتن في زماننا هذا وعظمت ، وما من فتنة اشد من النبل من شخص رسول الله نبي الرحمة ورسول الانسانية محمد بن عبد الله (صلوات ربي وسلامه عليه)، فقد هال أعداء الإسلام حب المسلمين لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتعلقهم به ، وانتشار دعوته في أنحاء المعمورة من غير سيف مسلط او قذائف تطلق أو أموال تنفق فان مجرد الاطلاع على هذا الدين بتجرد ونزاهه يكفي بلا للانغماس بنوره والاصطفاف تحت رايته ، والصراع بين الخير والشر مستمر والنصر والمستقبل لهذا الدين -أن شاء الله- وعندها يفرح المؤمنون بنصر الله كما انتصر إمام ألامه (صلى الله عليه وسلم) على أعداء دينه ودخل الناس في دين الله أفواجا وما احوجنا اليوم الى النصر بعد الاخذ بأسبابه متأسين بالرحمة المهداة (صلى الله عليه وسلم) ان اختياري لهذا الموضوع لتكون أحوالنا مقارنة مع أحوال أسلافنا من زاوية الدينية و الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية و اخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وقد جاء البحث مرتباً على النحو الآتي :

المبحث الأول:

المطلب الأول : نسبه و مولده و نشأته

المطلب الثاني :دراسته و ثقافته

المطلب الثالث :أخلاقه و أدابه

المبحث الثاني:

المطلب الأول : الحالة الدينية

المطلب الثاني :الحالة الإقتصادية

المطلب الثالث :الحالة السياسية

المطلب الرابع : الحالة الدينية

المطلب الأول

تمهيد:

قبل الحديث عن المفكر المودودي يجدر بنا أن نذكر أن الكثيرين من الناس الذين خلقهم الله هم أولئك الذين نشؤوا على ظهر الأرض في زماننا هذا، و لكن القلة منهم تركوا آثارهم في التاريخ فأثروا في تربية الأجيال و توجيه الأفكار و حملوا رؤية القرآن.

والأستاذ العلامة ابوالأعلى المودودي من أحد هؤلاء العلماء العاملين الذين اقتحموا ميادين العلم و الفكر، و صاحوا في الأمة الإسلامية لتنهض كما نهض فيها سلفنا الصالح بقيادة المصطفى صلى الله عليه وسلم، و لتحمل رؤية الرشاد تخرج فيها الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام، و من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، و لم يكن المودودي شخصا عاديا، بل كان مصلحا و مجددا و داعيا للعودة إلى كتاب الله و سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، و مطالبا بالرجوع إلى الخلافة الراشدة بعد أن تقوضت دعائمها على يد أعداء الله، و قلما نجد شخصية مثل المودودي كفقيه و عالم ، و رفع رؤية الإسلام عالية و سعدت به الأمة الإسلامية ، و قال الله تعالى " من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه".¹

1. نسبه:

يرجع نسب أبو الأعلى المودودي بن سيد أحمد حسن بن سيد حسن بن سيد ورات على إلى سيد سيد المشائخ أحمد قطب الدين مودود جشتي الذي يرجع نسبه إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه.² و كان شيخ هذا الفرع اسمه ابوالأعلى المودودي ، وامتازت هذه الأسرة طيلة تاريخها في الهند بالدعوة و التوجيه و الزهد في الدنيا و التزام الورع و التقى، و قام و الده بتسميته بأبي الأعلى المودودي تيمنا باسم جده الكبير مودود.

و لد أبو الأعلى المودودي سيد أحمد حسن مودود في دهلي سنة 1273هـ الموافق 1855م ، و درس والده في جامعة عليكره و تلقى منها ثقافة الإنجليزية، وواجهت فكرة تعليمه بتلك الجامعة معارضة شديدة من عائلته المعروفة بالندين، فترك الجامعة التي كانت تدرس السادة والثقافة الإستعمارية، و كان المتدينون المسلمون

¹ . سورة الشورى. آية 19

² . الجيلاني، سيد أسعد، المودودي فكره و دعوته، ص 17

يجاربون تلك الثقافة و يمنعون أولادهم الذهاب اليها، فترك هذه الجامعة و تلقى دورة في الحمامة حيث اتخذها مهنة له.³

2. مولده و نشأته:

ولد الإمام في 3 رجب 1321هـ الموافق 1903م ، وفتحت عيناه على حياة الزهد و الورع و التقوى، و قضى طفولته في مدينة أورنك أباد بمقاطعة حيدرآباد، و عاش بما حوالي أربع عشرة سنة، و حرص والده على تربيته حسب الأصول الدينية في مناطق الهند.⁴

المطلب الثاني

دراسته و ثقافته

تلقى الإمام علومه الابتدائية من والده من علوم اللغة العربية و القرآن و الحديث و الفقه و اللغة الفارسية، و كان يصطحبه معه الى مجالس العلماء، و حفظ الإمام في صغره الموطأ للإمام مالك رحمه الله حيث يقول عن تلك الفترة من حياته و أثر تربية والده فيه:

" أن والده شملني بالتربية السليمة و التوجيه السديد، و أي كلما أوردت على لساني كلمة غير فصيحة منعني من استعمالها، وكان يلقي على في الليالي حكايات الأنبياء، و أحداث تاريخ الإسلام، و الوقائع الشهيرة من تاريخ الهند، و الحكايات التي كانت تتضمن دروسا و عبرا، ولا أزال أشعر بفائدة تلك التربية حتى اليوم، و صادف مرة أن ضربت طفلا كان لأحد الخادمين في حارتنا و طلبني والدي و جاء الطفل و قال له اضربه كما ضربك مما جعلني بعدها لا أقدر على أن أعتدي على الضعفاء".⁵

و يقول: " لقد علمني والدي في الصغر اللغة العربية مما مكنتني خلال شهور ترجمة كتاب " المرأة الجديدة" لقاسم أمين الى اللغة الأردنية بأسلوب نال إعجاب الجميع ، كما قام بترجمة كتاب " الإسلام و الإصلاح" للشيخ عبدالعزيز جاويز من اللغة العربية الى اللغة الأردنية".⁶

3. سمير عبد الحميد، الدكتور، المودودي_ فكره و دعوته، ص8

4. سمير عبد الحميد، الدكتور، المودودي_ فكره و دعوته، ص9، الجيلاني، سيد أسعد، المودودي فكره و دعوته، ص21

5. الحامدي، خليل أحمد، الشيخ، مجلة أضواء الشريعة، ص499،

6. الترابي، أليف الدين، الأستاذ ابو الأعلى المودودي و منهجه في التفسير، ص123

التحق الإمام بمدرسة الثانوية في مدينة أورنك آباد في الصف الثامن، وكانت سنه اذ ذاك أحد عشر سنة، و تخرج من الثانوية في عامه الرابع عشر من عمره بتفوق أثار الإعجاب عند أقرانه و أساتذته لذكائه البالغ و فطنته الفائقة و بدهته الموهوبة.

ثم التحق لمواصلة دراسته في حيدرآباد لكلية دارالعلوم، وكان رئيسها العالم الشهير حميد الدين الفراهي، و اجتاز الإمام المودودي امتحان " مولوي " و الذي يعادل الشهادة اليسانس.⁷

و بعد ذلك اختار لنفسه العمل في الصحافة لقدرة على الكتابة و الترجمة، وانضم الى جريدة المدينة التي كانت تصدر في مدينة تيمور الهندية، و انتقل بعد شهر و نصف الى جريدة اسبوعية في نفس المدينة " تاج " و أتقن المودودي اللغة الإنجليزية اتقاناً تاماً و صار يطالع كتب التاريخ و الفلسفة و السياسة و الإجتماع، و مقارنة الأديان والمقالات العلمية باللغة الإنجليزية.⁸

و عاد للعمل بالصحافة لدى جريدة " تاج " لصدر مرة أخرى، و كانت أسبوعية فأصبحت يومية، و اتجه المودودي الى ميدان السياسة، و بعد ذلك انضم المودودي مع مدير جمعية علماء الهند في اصدار " جريدة مسلم " من ثم أصبح مديراً لها حتى عام 1341هـ حيث تم أغلقها من قبل السلطات.⁹

المطلب الثالث

أخلاقه و أدابه:

امتاز الإمام بالأخلاق الفاضلة، و كان متحمساً للدعوة إلى الله، و كان شجاعاً مقداماً و ظل ينشر أفكاره بالحماس الشديد للدفاع عن المسلمين بأسلوب اتسم بالموضوعية. صاحب عبقرية، و قوة نفسية، و متحمدة الباطل بقوته، و شهد له تلامذته و أخوانه أنه مزيج من الصدق و الصفاء، غايته و هدفه في الحياة نشر مبادئ الإسلام للبشرية جمعاء، و كرس عمره و قلمه متفانيا لهذه المهمة موضحاً في تاليقاته و كتبه و مقالاته و مواعظه أن شريعة الله الخالدة صالحة للتطبيق في كل زمان و مكان و في كل شأن من شؤون الحياة السياسية و الاقتصادية و الإجتماعية و الدينية و في البيوت و الأسرة. بهذه الروح العالية الموصلة بالله سار الإمام المودودي على نهج النبوة متوكلاً على الله تعالى.¹⁰

7. سمير عبد الحميد، الدكتور، المودودي_ فكره و دعوته، ص 9

8. الجيلاني، سيد أسعد، المودودي فكره و دعوته، ص 30، 31، الحامدي، خليل أحمد، أضواء الشريعة، 500

9. محمد يوسف، مولانا مودودي تاريخ حياتي، ص

10. سمير عبد الحميد، الدكتور، المودودي_ فكره و دعوته، ص 9، الجيلاني، سيد أسعد، المودودي فكره و دعوته، ص

26، 27، أحمد ادريس، المودودي، ص 13، التراي، أليف الدين، الأستاذ ابوالأعلى المودودي و منهجه في التفسير، ص

المبحث الثاني

المطلب الأول

الحالة الدينية:

قضى الإستعمار الإنجليزي على قارة الهند التي امتدت عبر قرون منذ كانت الفتوحات الإسلامية على أيادي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين و التابعين و من بعدهم، حيث بدأ يضعف أمرها و يتقلص ظلها في أواخر القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي و ذلك لعدم التمكن في دينهم و تركهم شريعة دينهم و تحولهم الى ثقافات بعيدة عن الإسلام، و قد قامت ثورة اسلامية في منتصف القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي و لكنها لم تنجح، فعمل الإنجليز لإستئصال شأفة الإسلام من القارة الهندية، فأبطل العمل بالقانون الإسلامي و وضعوا بدلا منه القانون الإفرنجي و ألغوا المحاكم الشرعية.¹¹

و غاية الأمر منذ كان الإستعمار الإنجليزي 1273 هـ الموافق 1858م و المسلمون يسرون من سيئ الى أسوأ و من علو الى أسفل و أصبحوا في حيرة من أمرهم، و أخذت الحكومة الإنجليزية تضيق الخناق على العلماء و حملة الدين، و تعتقلهم في السجون من غير محاكمة و تشجع التيارات و المبادئ التي تحارب شرعة الإسلام و كان من أثر ذلك ظهور حركة أحمد خان الذي أسس جامعة عليكره التي ترقى و أزدهرت ، الا أن هذه الحركة طلبت من المسلمين الاعتراف من العلوم الأوروبية الحديثة التي نشرت الثقافة الأجنبية دون حدود، و الستولى على قلوب القائمين على تلك الحركة حب أوروبا كأنهم دهشوا لما شاهدوه فيها فأخذوا يسخرون الآيات القرآنية لتبرير اقتدائهم بالانجليز و حرفوا الآيات و بسوها معاني توافق أهوائهم و بما يتفق مع أقوال الأفرنج و لقد ساعد جهل أكثر المسلمين في الهند الى انتشار أفكار هذه الحركة التي جنت على الدين جنابة لا تغتر و فتحت بابا عظيما مهدت لظهور حركات جديدة تعتنق مبادئ الاتحاد و الفكر.¹²

¹¹ . تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص 181، 186، مانورا مدراك، الهند شعبها و أرضها، مترجم، محمد عبدالفتاح

ابراهيم، ص 184

¹² . الندوي، على، ابوالحسن، الصراع بين الفكرة الإسلامية و الغربية، ص 86، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص 15

ظهور جمعيات

ظهرت جمعيات إسلامية كجمعية حماية الإسلام، و جمعية الدفاع عن الإسلام، و جمعية علماء الهند، و جمعية أهل الحديث، و جمعية الخلافة، و عملت جميعها على نصرته الإسلام و الدفاع عن قضايا المسلمين و حاولت أكثرها الجميع بين الإسلام و العلوم العصرية فأنشأت بعضها دورا للطباعة و النشر قامت على ترجمة الكتب الدينية و العلمية الأخرى كالطب و الهندسة و السياسة و الاجتماع و أصدر أكثرها الصحف و المجلات.¹³

و عمل المودودي مديرا للتحرير في بعض صحفها قبل أن يقوم بتأسيس الجماعة الإسلامية، إلا أنه يمكن القول أن جهود تلك الجمعيات كانت مبعثرة لتقتصر بعضها في الدعوة إلى الله، و سعي بعضها لتولي المناصب من ناحية، و لعدم وجود اتحاد بين أفرادها من ناحية أخرى، ثم إن الاستعمار الإنجليزي كان يسعى لتقويض دعائمها عن طريق تشجيع الحركات الناهضة لها كالكاديانية، و حركة منكري السنة و العلمانيين، ودعاة الإلحاد و دعاة التبرج و السفور، و حركة تهديد المسلمين التي نشطت في الهند قبل إستقلال باكستان و عمل قادتها بالتعاون مع الإنجليز لارغام المسلمين ترك دينهم و اعتناق الهندوسية.¹⁴

و لخص المودودي الحالة الدينية لكثير من المسلمين بقوله أن مجتمعات المسلمين ظهر فيها التمرد على الله و هو مصدر الظلم والعدوان والقساوة والخيانة، و الاستغناء عن هداية الله، إضافة إلى الأثرة و الأنانية و الجحود.¹⁵

و بحث المودودي الناس فس كتاباته و خطابه لا يفقدوا الأمل في العودة إلى الله تعالى فيقول:

" و اني لا أقول لكم كل هذا لتيأسوا من أنفسكم و تقطعوا الأمل من مستقبلكم، ولا أريد أن أوقع في اليأس و التشؤم أحدا غيري. وإنما قصدي بكل هذا أن أبين لكم أن سكان الهند اليوم لسفاهتهم و جهالتهم مصرون شديدا على أن يضيعوا على أنفسهم فرصة سعيدة أو ساعة ذهبية جرت سنة الله بأن يمنحها لكل قطر من أقطار الأرض على فترة قرون لتغيير حياتهم وإصلاح ما بأنفسهم من مظاهر الشر و عناصر الفساد. و يعرض المودودي للخروج من هذا الظلام الهالك كخطوة أولى في سبيل الإصلاح فرز العناصر الصالحة من بحر خضم من الناس و خرطه في سلك نظام محكم، وذلك لمجاهدة الشر وأتباعه الوضع الذي يتمثل في سكوت

¹³. الندوي، على، ابوالحسن، الصراع بين الفكرة الإسلامية و الغربية، ص 98، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص

200 و 210 و 214-217 و 221، الجندي، انور، العالم الإسلامي، ص 115

¹⁴. الندوي، على، ابوالحسن، الكاديانية، ص 100، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص 193 و 201 و 202 -

204 و 231 و 239، المودودي، ابوالأعلى، سيد، ماهي الكاديانية، ص 38

¹⁵. المودودي، ابوالأعلى، سيد، نحو ثورة إسلامية، ص 26

الناس على المنكر و هم قابعون في زواياهم . ثم يدعوا الى الثقة بالله من أن الفئة القليلة الأفراد اذا نظمت نفسها و أقامت حياتها على الصدق و الإخلاص و الإمانة فسينصرها الله تعالى على إعداء هذا الدين مهما بلغت قوتهم.¹⁶

الخلاصة:

الأمام المودودي رحمه الله ازاء أحوال المسلمين الدينية السالفة الذكر شمر عن ساعديه و هب للدفاع عن دينه و طرح المبادئ الإسلامية كما جاءت في الكتاب و السنة و محاربة علماء السوء و أهل الإلحاد و البدع و أتباع الحضارة الفاسدة. هذا و لم تكن حالة المسلمين في بقية أنحاء العالم الإسلامي بأحسن منها في شبه القارة الهندية ، و المودودي رحمه الله نراه في كتاباته يخاطب في دعوته الى الإصلاح و الرجوع الى الكتاب و السنة جميع مسلمي الأرض، و لا شك أن الدعوة إلى الله تعالى في مثل تلك الظروف هي من الأعمال الشاقة و العظيمة التي لا يستطيع القيام بها إلا أصحاب العزائم القوية كالإمام المودودي رحمه الله.

المطلب الثاني

الحالة الاقتصادية

قام المسلمون في الهند عام 1275هـ الموافق 1858 بتغيير بركان الثورة ضد الإنجليز ، الا أنهم بعد أن خاضوا المعارك و اصطلوا بنار القتال و كانوا حملة اللواء فيه و قادة الجيش لم يحرزوا النصر و فشلت حركتهم، و بعد أن صار الأمر للمستعمر الإنجليزي في الهند فاذا بهم الغرض الذي رماهم الإنجليز المتغطرسون بسهمه، فأخذهم بحريرة إيقاد نار الثورة و اشعال لظاها، فتشتت شملهم و تغرقت كلمتهم ، و صاروا عالة على غيرهم يتكثتون ولا يجدون ما يسدون به رمق حياتهم، ومن شر ما فعلت بهم الإنجليز أنها سدت في وجوههم أبواب الرزق في دواوينها، و صادرت أملاكهم، و أراضيهم و تركتهم في حيرة من أمرهم لا يدرون ماذا يفعلون ، و كيف يعيشون و أصبحوا من المنبوذين اقتصاديا، لا صناعة عندهم، ولا يملكون شيئا، كانوا يعملون في الزراعة بصودرت أراضيهم، واشتغلوا بالتجارة فنهبت أموالهم، هذا من ناحية و من ناحية أخرى فان نظام الطبقات الهندوكي الذي يقسم المجتمع الهندي الى عدة أقسام كان له أثره في حياة المسلمين الاقتصادية اذ أن المسلمين كانوا يعتبرون من الطبقة الدنيا التي لا يجوز لها اقتناء الاموال في نظر ذلك النظام، ولا ينبغي هذا وجود فئة متصالحة و متعاونة مع المستعمر الانجليزي، بل و معجبة بنظامه الاقتصادي الذي نهب خيرات المسلمين في الهند كأتباع أحمد خان الذي أنشأ جامعة عليكره أو ظهور طائفة استسلمت و هزت و أخذت تحارب نظام

16 . المودودي، ابوالأعلى، سيد، نحو ثورة إسلامية، ص 37

الاقتصاد في الاسلام كالتأثير القاداني، الا أن قسما من المسلمين في مقاطعة بمار شكلوا امارة لهم و أخذوا يجمعون الزكاة ثم يقومون بتوزيعها على مستحقيها من المسلمين.¹⁷

و لونغرنا الى الوضع الاقتصادي للعالم العربي خاصة و العالم الإسلامي عامة لوجدنا أن المستعمرين البريطانيين و الفرنسيين قد نبهوا خيرات العالم الإسلامي و نقلوها الى بلادهم غير عابئين بما عليه أصحابها الحقيقيين من فقر مدقع و حالة اقتصاد مزرية.

و لقد تناول الإمام المودودي حالة المسلمين الاقتصادية في مؤلفاته و ها هو يعرض صورة من صورها فيقول: " بدأ احتكار مرافق الحياة و بيعها في السوق السوداء مع قلة وجودها و ارتفاع أسعارها على كل نطاق واسع. ثم انفجرت في بنغال المجاعة المصطنعة المعيبة التي أهلكت طبقة مستغلة من بلادنا. مات الألف من السكان جوعا لقيام طائفة بتحقيق أرباح طائلة لنفسها متبعة طرقا خبيثة ".¹⁸

و يشير المودودي الى ما فعله الاستعمار في بلاد المسلمين فيقول:

" ان السياسة التي اتبعها الاستعمار في توظيف المتخرجين من هذا النظام في تسيير دفة الحكومة و في المجالات الاقتصادية كانت تملأ أنه بقدرها ما يكون المرء متجردا من آثار الإسلام قدر ما يتلقى أرقى المناصب في شؤون الاقتصاد".¹⁹

و يرى المودودي أن المشاكل الاقتصادية التي يعيش فيها المسلمون و كذلك غير المسلمين في الأرض ترجع الى استغلال خطر الربا و مفاستها و تسلط قلة قليل من أصحاب المصارف المالية و ملاك الصناعة و دهاقين التجارة على جميع أسباب الحياة و مرافقها و طرق انتاجها.²⁰

و هذا و من الجدير بالذكر أن المودودي قد فند آراء الذين قالوا أن الحل الوحيد فيها يعانيه المسلمون من مشكلات اقتصادية يكمن في تطبيق المذهب الشيوعي الملكية الجماعية على المسلمين.²¹

¹⁷ . الندوي، على، ابوالحسن، المسلمون في الهند، ص 25، ماذا خسر العالم بالخطأ المسلمين، 49-51، النمر،

عبدالمعظم، كفاح المسلمين في الهند، ص 27، محمود شاكر، باكستان، ص 25 تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص

184 و 229 ، المودودي، ابوالأعلى، سيد، الجهاد في الإسلام، ص 187

¹⁸ . المودودي، ابوالأعلى، سيد، نحو ثورة سليمة ، ص 26، 27

¹⁹ . المودودي، ابوالأعلى، سيد، الإسلام اليوم، ص 40

²⁰ . المودودي، ابوالأعلى، سيد، الربا و معضلات الاقتصاد، ص 38

²¹ . المودودي، ابوالأعلى، سيد، الربا و معضلات الاقتصاد، ص 37

الخلاصة :

في هذا البحر المتلاطم شق المودودي طريقة مبينا المبادئ الاقتصادية التي تتمشى روع الشريعة الإسلامية الغراء و زاد في ذلك كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم غير مبال بمبادئ الانظمة الشيوعية في الاقتصاد أو مبادئ النظم الرأسمالية رغم القوة العسكرية و المادية و الفكرية التي سخرها أصحاب تلك المبادئ لترويج مبادئهم في الاقتصاد في الكرة الأرضية.

المطلب الثالث

الحالة السياسية

حلت بريطانيا محل الدولة المغولية ١٢٧٣هـ - ١٨٥٨م ، وشرعت في وسمحت بوضع نظام شامل يكفل تحقيق أغراض الاستعمار، وبدأت بريطانيا يد الهندوس وضيق على المسلمين الذين حطوا راية الثورة ضدها ، بريطانيا باجتماع المؤتمر الهندي الوطني ليتدارسوا شؤونهم، وانقسمت الهند إلى قسمين: قسم موال لحزب المؤتمر الوطني الهندي بزعامة الغاندي ، وتبنى هذا الحزب * فكرة القومية الهندية " وبالتالي كان يحارب فكرة اقامة دولة للمسلمين في القارة الهندية، وقسم آخر يرى وجوب قيام هذه الدولة وكان محمد على جناح من المعارضين المسلمين بالاضافة الى الشاعر الكبير محمد اقبال يتزعمان هذا التيار .

ولقد قامت الحركات السياسية في القارة الهندية بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، وبدأ المسلمون يجمعون أنفسهم بعد أن كانوا تنكروا للإسلام بعد انخراط ثورتهم ١٢٧٣هـ - ١٨٥٨م، اذ كانت حركة أحمد خان الداعية الى تقليد الحضارة الغربية والاقبال عليها دون قيد أو شرط قد أثرت في كثير منهم تأثيرا جعلهم يفضلون الغرب ومناهجه على الاسلام فظهرت حركة الخلافة على يد محمد على جناح وهذه الحركة ظهرت بعد أن نكثت بريطانيا بوعودها التي وعدت بما المسلمين ، وطلبتهم بالاماني المعسولة ، تنادى المسلمون من أنحاء الهند وكونوا هذه الحركة في اجتماع عام نظم هذا الغرض حضره ما يزيد عن خمسمائة عالم من أنحاء الهند ، وقامت جمعية العلماء بنشاطات في الحقل السياسي ، وعادوا ينظرون الى الشريعة الاسلامية أنها سبيل الخلاص، وأسسوا جمعية - الامارة الشرعية " في بھار ونصبوا لهم أميراً شرعياً في تلك المقاطعة يتولى أمورهم ويقوم على مصالحهم الدينية لكنهم وبعد سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٣م انخمدت نيران الحركة سياسية

المتأججة وهبت رياح الخمول على النشاط السياسي وبدأ المنحرفون المسلمين يعودون الى سيرتهم الاولى ، فنكص من نكص ، وثبت من ثبت.²²

انقسام المسلمين على أنفسهم:

انقسم زعماء المسلمين في الهند على انفسهم فمنهم من يؤيد الهناذكة ودعوتهم الى الوطنية الهندية ومنهم من يعارض الهناذكة لانه يرى أن المؤتمر الهندوسي يخطط ضد المسلمين ؛ ولقد كانت رابطة المسلمين التي أنشأها جناح بمثابة الرد على مؤتمر الهناذكة الوطني الا أنه ما يؤسف له أن الرابطة الاسلامية كانت قد تبنت النزعة القومية الاقليمية الضيقة كما كان فيها بعض دعاة الشيوعية والاحاد

وكان من المسلمين في القارة الهندية أيضا من يؤيد قيام قومية هندية تجمع المسلمين والهناذكة في بوتقة واحدة.

23

ونجحت دعوة الرابطة المسلمة في الاقتراح التي قدمته بشأن تقسيم شبه القارة الهندية الى قسمين : قسم للهندوس وقسم للمسلمين . هذا وقد شارك المودودي في الاحداث السياسية التي مرت بها القارة الهندية خلال تلك الفترة وكان قلبه سيفاً سليطاً يهاجم به الهناذكة ودعاة الاحاد ودعاة القومية الاقليمية ودعاة العلمانية والتفرنج.

وبصور المودودي الحالة السياسية للمسلمين بعد سيطرة الاستعمار الغربي عليهم بالغزو العسكري وقيام فئات من السلسين بالتعاون مع المستعمرين لتسيير الأمور في البلاد فيقول : ان الاستعمار الغربي بعد تعين محاليه في البلاد الاسلامية جعل يصب على السلمين وابلا من الظلم والعدوان والبطن والتنكيل وأنزل بهم ضرباً من الفتن كقطع الليل المظلم. أن جميع هذه الاعمال الاجرامية لا تساوى ظلماً ارتكبه الاستعمار حين فرض علينا النظام التربوي الحديث الغريب عن معتقداتنا والبعيد عن قيمنا ، قسراً ، في جانب ، وفي الجانب الآخر عطل نظامنا التليد للتعليم والتربية وحوله الى حالة العقم وجعله في وضع يرثى له. وحاول بهذه الطريقة أن ينشئ ما أجيالاً لا تتفكر لشخصيتها الاسلامية. وتبغض دينها ، وتجهل تقاليدها ، وتنظر الى تاريخها الحافل بالامجاد بنظرة الاستحقار ، وتعتبر حضارتها الرائعة شيئاً أكل عليه الدهر وشرب وتقتنع بأن ثقافتها تقادم عليها العهد وتؤمن بأن نظامها للفكر والعمل لا يصلح للعصر الحاضر ، وترسخ في ذهنها وقلوبها أنه اذا كانت

22. النووي، مسعود، تاريخ دعوة الإسلام في الهند، ص 231، حقي، احسان، دكتور، باكستان، الحامدي، خليل أحمد،

الشيخ، المودودي، ص 14

23. النووي، مسعود، تاريخ دعوة الإسلام في الهند، ص 231

هناك معارف فهي التي تدون في الغرب ، واذا كانت هناك حضارة فهي التي مهدها الغرب ، واذا كانت هناك أخلاق فهي التي يتخلق بها الغرب . هذا هو ظلم أعظم مارسة الاستعمار في حقنا .

وحذر المودودي المسلمين من الانسياق خلف سراب مبادئ الشيوعية أو الافتتان بحضارة الغرب الرأسمالية التي تحارب ديننا الحنيف ، وأشار المودودي الى الذين يطالبون بتأسيس دولة قومية للمسلمين في القارة الهندية ولو كانت غير مستندة الى قواعد الشريعة الإسلامية الغراء وهؤلاء يزعمون أنه اذا تم لهم تأسيس دولة قومية يمكن تحويلها تدريجيا فيما بعد الى دولة اسلامية بوسائل التعليم والتربية وبفضل الاصلاح الخلقي والاجتماعي.

الخلاصة:

يفند المودودي مزاعم أولئك قائلا:

ولكن شهادات التاريخ والسياسة وعلوم العمران تفنده مثل هذه المزاعم وتعدّها من قبيل الاستحيالات . ذلك أن نظام الحكومة له أصل ثابت في الحياة الاجتماعية ، فلا يمكن أن يحدث انقلاب ثابت في نظامها بطريق من الطرق الا اذا سبقه تبدل في الحياة الاجتماعية تخرج فيها دماء المؤمنين المخلصين مع عقيدة الاسلام ومنهج السليم ؛ ويذكر المودودي أن تلك الحكومات القومية تحارب الاسلام محاربة كبيرة وتضطهد الدعاة الى الله تعالى وتطاردهم وتضيق الخناق عليهم.

ويشير المودودي الى أن أكثر زعماء المسلمين اليوم لا ينظرون الا لمصالحهم ونفعهم العام والعاجل وانتهاجهم لكل مبدأ يعود بالنفع المادي عليهم .²⁴

هذه فكرة موجزة عن وضع الأمة الإسلامية في الفترة التي انطلق فيها المودودي يهاجم أنظمة الحكم التي تبنت مبادئ غير اسلامية ليس في بلده نصب بل في شتى أقطار الارض ولقد كان المودودي من أوائل الذين كشفوا للناس عن مبادئ الاسلام السياسية مستندا في ذلك الى القرآن الكريم ومنهج النبوة والخلافة الراشدة.

²⁴ . المودودي، ابوالأعلى، سيد، نظرية الإسلام، ص96

المطلب الرابع

الحالة الاجتماعية

لم تكتف حكومة بريطانيا التي أذاقت المسلمين في الهند أشد العذاب باعتقال العلماء المخلصين منهم كما قال الكاتب الانكليزي الشهير (Wilfrid Scawen Blunt) الذي زار الهند بعد الثورة بقليل واطلع على المعاملة القاسية التي يلقاها السلمون من قبل الانكليز. فهم مشردون ، ومنزلون والحكومة وأعوأها من الهندوس ينظرون اليهم بعين الاحتقار والازدراء ، الا أن حكومة الانكليز قررت لهم منهاجا للتعليم في مدارسها ينفر المسلمين من ارتياد مناهله إن أرادوا التمسك بدينهم لتخلفهم عن جيرانهم في موكب التعليم الجديد تخلفا لا يزال أثره الى اليوم.

وتنبه الامام المودودي رحمه الله لهذه الامراض في الوقت الذي يسعى فيه الهناذكة للفتك بالمسلمين وبادتهم أو اعادتهم الديانة الهندوس كما يقول وها هو المودودي يتحدث عن بعض جوانب الحياة : بعض زعماء الهناذكة الاجتماعية للمسلمين فيقول:

" ان هذا الوباء وباء الانحطاط الاخلاقي. لما أحاط بالاغلبية الساحقة من أفرادنا من كل جانب . كان من الطبيعي أن ينجم قرنه بصورة اجتماعية على نطاق واسع . وهذا الطوفان الاتي لحت لنا أولى علاماته لما بدأ ازدهام الركاب في القطارات يشتد خلال الحرب الماضية. فالاثرة والانانية والقساوة وقلة التراحم ، التي عامل بها هناك أفراد أمة واحدة ، وسكان وطن واحد بعضهم بعضا ، ان كانت تدل على شيء فانما كانت تدل على أن اخلاقنا العامة في سبيل الانحطاط والتدهور بسرعة مخيفة. وها هي الرذائل والفظائع التي ما كان ليتصور الى الامس القريب أن يرتكبها أحد من البشر يرتكبها اليوم سكان مدننا وقرانا علنا ، وكان سكان بقاع واسعة قد تحولوا الى عصابات من اللصوص والاوغاد والمنحرفين وأصبحوا يأتون باعمال ما كانت لتخطر على بال أحد من اللصوص والاوباش الى الامين فقد ذبحوا الوضع على صدور أمهاتهم ، واحرقوا أناسا وشووا لحومهم بنيران ملتبهة وهم على قيد الحياة، وجردوا النساء الشريفات من ملابيسهن على رؤوس الأشهاد، وهتكوا أعراضهن علنا في اجتماعات تضم الافاق من الناس ، وعبثوا بحرمات الفتيات على مرأى وشهد من أبائهن وأزواجهن واخواتهن واتبعوا لاطفاء نار حقدهم على المعابد والكتب الدينية أبشع وارذل ما يمكن من طرق الانتقام ، وقتلوا المرضى والجرحى والعجزة بكل قساوة ووحشية وألقوا الركاب من القطارات وهي جارية ، وقطعوا أعضاء أجساد وهم أحياء وقتلوا العزل والذين لا يملكون حيلة للدفاع عن أنفسهم كما تصطاد الوحوش في الغابة ، وقد نهب الجيران الجيران ، وغدر الاصدقاء بالاصدقاء وقد نقص أصحاب الذم ذمهم

بأنفسهم ، وقد ساهم رجال الامن والشرطة والحيس وقضاة المحاكم الجنائية في اذكاء نيران الاضطرابات والاشتباكات.

ويضيف المودودي القول :

" وباالاختصار : فانه ما يقي نوع من الظلم والجور وقساوة القلب وقلة الرحم واللوم ، وخبائث الطوية الا وقد ارتكبه سكان وطننا بصورة جماعية والى الان ما انطفأ غليل نفوسهم تماما، وتدل الآثار على أن كل هذا لا بد أن يقع مرة أخرى على نطاق وأوسع وعلى صورة أبشع من ذلك بدرجات.²⁵

وذكر المودودي أن 95% من سكان القارة الهندية مصابون بالداء الفتاك في أخلاقهم ويتساءل كيف لسلوك الأمة الاجتماعي أن يبقى سالما مستقيما اذا فسدت أخلاق الاغلبية الساحقة منها ؟

ويتحدث المودودي في مكان آخر عن اضعاء الحق والخيانة والغش بين الافراد والعمال والموظفين الذين يسعون للرشوة ، ثم يشير الى المحامين والاطباء ورجال الصحافة والكتاب والزعماء الذين لا يتورعون من اتباع طرق نجسه لتدمير أخلاق الناس وقيمهم.²⁶

ويقول أيضا : غير خاف أن الأمة التي تتسمى اليوم بالسلمين قد جمعت بين أحضانها كل رطب ويا بس من الافراد والرجال. فقد يوجد فيهم كل ما يوجد في الامم الكافرة من أنواع الطبائع والاخلاق وهم يسابقون الكفار ويزاحمونهم بالمناكب في شهادة الزور في المحاكم وبيارونهم في أخذ الرشى وارتياح دور البغاء في - بعض المناطق - وارتكاب السرقة والتجرو على غيرها من الاخلاق الذميمة ، وكذلك يسبون في كسب معا يشهم وابتغاء رزقهم سير الكفار ، فأنت ترى أن الغني المسلم اذا أثرى أو الموظف المسلم اذا تولى منصبا يأتيان كل ما يأتيه الغني الكافر والموظف المشرك من المنكرات وسيئات الأعمال الا من رحم الله.²⁷

ويتطرق المودودي الى مناهج التعليم في البلاد الاسلامية ، ويرى أنه وبشكل عام قد بلغ من عمق وتجره وفساده في كثير من نواحيه بحيث لم يعد يقدر أن يهيئ الرجال القادرين على قيادة حكومة اسلامية ترضى وجه الله تعالى.²⁸

25 . المودودي، ابوالأعلى، سيد، نحو ثورة سليمة، ص26، 29

26 . المودودي، ابوالأعلى، سيد، نحو ثورة سليمة، ص26

27 . المودودي، ابوالأعلى، سيد، نظرية الإسلام، ص 89

28 . المودودي، ابوالأعلى، سيد، نظرية الإسلام، ص 92

الخلاصة:

وأشار المودودي إلى مسألة مهمة في هذا الشأن ساعدت على فساد الحياة الاجتماعية في أكثر بلاد المسلمين وهي تقليد المرأة المسلمة للمرأة الكافرة في زيها وسلوكها وما جاء في قوله : انني كنت أشعر بواسطة الجرائد والمجلات التي كانت ترد علينا من مصر وغيرها من البلاد العربية بأن المرأة في البلاد العربية قد بلغت من إعتدائها في حدود الشريعة وانسياقها وراء تيار الحضارة الجديدة درجة ربما لم تبلغها المرأة حتى في بلادنا نحن فكنت لكل ذلك أجد في نفسي من القلق والاضطراب ما قد طالما أقص مضجعي وأجرى الدموع من عيني. ثم انه لما قدر لي زيارة بعض البلاد العربية وهناك شاهدت بعيني ما بلغه حقا تبذل المرأة العربية المسلمة وتبجحها بالعرى والفتنة وشدة ولوعها باقتفاء آثار أختها الغربية ازدادت قلقا و اضطرابا أكثر من ذي قبل.

29

ويذكر المودودي أن حضارة أهل الغرب ومدنيتهم لم تتغلغل في الهند ولم تؤثر في حياة أهلها وخاصة النساء مثلما قد تغلغلت في بلاد العرب، وأثرت في نساء أهلها ويتساءل المودودي كيف أن العرب الذين قد شرفهم الله تعالى ببعثة رسوله فيهم ومنهم ولغتهم لغة القرآن والسنة لا يعرفون أحكام الله تعالى في شؤون حياتهم؟؟ وكيف يسمحون لأكثر نساءهم بلبس ملابس الافرنج يتبرجن بها في الاسواق والاندية تبرز بها مفاتنهم التي حرم الله عليها ابرازها في الطرق والاسواق.

وأشار المودودي أيضا الى ظاهرة الاختلاط والفساد الناشيء عنه في أكثر أقطار المسلمين ما يندى له الجبين. هذه لمحة عن الحياة الاجتماعية التي أصبح عليها أكثر المسلمين ؛ وعلينا أن نقدر الجهود العظيمة التي قام بها المودودي لا يقف الفساد الاجتماعي وذلك عن طريق خطبه ومقالاته وكتبه ودعوته المستمرة للمسلمين الالتفاف حول مبادئ الاسلام والتقيد بأحكامه فيما يتعلق بقضايا الحياة الاجتماعية وبألها من مهمة شاقة!.

نتيجة البحث:

الشيخ أبو الأعلى المودودي تعلّم العلوم الشرعية واللغة العربية، وكان كاتبًا ومفكرًا منذ شبابه. أسّس الجماعة الإسلامية، بهدف إقامة نظام إسلامي شامل.

دعا إلى تجديد الفكر الإسلامي، وربط الدين بالحياة السياسية والاجتماعية و الاقتصادية، وألف كتباً مفيدة و مثمرا منها: المفاهيم الإسلامية، وأسس الاقتصاد الإسلامي. وفي ذاك الوقت كانت الفكرة الإسلامية محاصرة

بالاستعمار الإنجليز والأفكار الغربية فالיום كثير من حركات الصحوة الإسلامية تأثرت بأفكار الإمام المودودي، لكن التحديات الداخلية و الخارجية تشمل العولمة والانحرافات الفكرية.

أثر المودودي على رفض النظام الربوي، وبين خطر الرأسمالية والشيوعية، طرح مفهوم الاقتصاد الإسلامي القائم على العدالة والزكاة. بدأ الآن تطبيق بعض الأفكار الاقتصادية الإسلامية في المصارف الإسلامية، لكنها ما زالت تواجه تحديات الربا والتعاملات الغربية.

وقام سيد المودودي بتربية الفرد والمجتمع على أساس إيماني، أنشأ الجماعة الإسلامية كمنظومة دعوية وتنظيمية، عمل في بيئة صعبة مليئة بالتحديات الاستعمارية. نحن نحتاج الى من يربينا تربية جادة على الجمع بين الفكر الإسلامي الصحيح مع أيجاد روح الدينية و الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية لنعيش على وفق المهج الإسلام الغراء و لنشر روح الفكر الإسلامي دولة و نظاما و سياسة و إقتصادا على العالم و المجتمع لكي نعيش حياة سليمة بعيدا عن الظلم و الترف و النهب و الجدل و الحرب بين القبائل و الدول و العالم الإنسانية. فنحتاج إلى رجال الفكر و التنظيم لإقامة نظام الإسلام فسيد المودودي رحمه الله كان رائداً في الجمع بين الفكر الإسلامي والعمل التنظيمي وقد واجه تحديات كبرى بفكر متجدد وهمة عالية. و الآن نحن بحاجة ملحة لتفعيل أفكاره بما يتلاءم مع الواقع الرقمي والعالمي، وتجديد الأساليب مع الحفاظ على المبادئ الإسلامية .